ندوة علامات

وظيفة النقد

ورقة عمل مقدمة من : **عبد رب النبي اصطيف**

علي عقلة عرسان

نعيم اليافي

عبد الله أبو هيف

قاسم المقداد

سمر روحي الفيصل

أدار الحوار : سعيد السريحي

١ يوليو ١٩٩٣ م

اتحاد الكتاب العرب

دمشق

علي عقلة عرسان : (رئيس اتحاد الكتاب العرب) :

الأخوة الحضور ، أرحب بكم جميعا باسم اتحاد الكتاب العرب ، وأرحب باسمكم بالأخ الدكتور / سعيد السريحي عضو هيئة تحرير « علامات » ويسعدني أن تعقد هذه الندوة حول وظيفة النقد هنا في اتحاد الكتاب العرب ، وبمشاركة الأخوة الكرام وادارة الدكتور / سعيد السريحي ، ونتطلع ايذانا من هذه الندوة بعد تقصير طال واستطال إلى أن تكون العلاقات الثقافية والأدبية أكثر متانة وأكثر قوة بيننا وبين أشقائنا في الوطن العربي ولاسيما في الخليج والجزيرة العربية . وقد لا يعرف كثيرون منا أوجه النشاط الثقافي والأدبي وحيوية ذلك النشاط في الجزيرة العربية اجمالا ، وستكون هذه فرصة لكتاب ونقاد اتحادنا وبلدنا لتكون لهم اطلالة على القاريء هناك وتكون لنا فرصة للتعرف على أشقائنا وأوجه نشاطهم . .

أرحب بكم وبالدكتور السريحي فليتفضل فهو صاحب البيت ونحن ضيوفه .

سعيد السريحي «مدير الندوة» :

أسعد الله مساءكم . . وأشكر لأستاذي الجليل علي عقلة عرسان تفضله بافتتاح هذه الندوة واستضافة اتحاد الكتاب لها ، وقد كان يغني هذه الندوة أن تعقد في ركن هاديء في بيت أحدكم ، غير أن هذه الحفاوة تجيء لتؤكد أن دمشق دائماً تظل فرح الثقافة وعرسها . .

هذه الندوة تجيء لتكون ثالثة الندوات التي تعقدها « علامات » وقد كانت الجامعة التونسية موطن الندوة الأولى ، والرياض موطن الندوة الثانية ، وشرف لعلامات أن تعقد ندوتها الثالثة في دمشق وفي مقر اتحاد الكتاب العرب .

وأشكر كذلك الصديق الكريم الدكتور / عبد رب النبي اصطيف على تفضله بإعداد ورقة العمل التي تطرحها « علامات » للحوار ، وتجيء استجابة الدكتور / اصطيف امتدادا لتعاونه معنا منذ الأعداد الأولى لعلامات وكتابته الدائمة لها . .

وقبل أن أعطيه الكلمة لتقديم ورقته أشكر الأصدقاء الأفاضل الذين يشاركون معنا في مناقشة هذه الورقة وهم : الدكتور / علي عقلة عرسان والدكتور / نعيم اليافي والدكتور / قاسم المقداد والدكتور سمر الفيصل .

كما أشكر للحضور الكرام تفضلهم بحضور هذه الندوة وأدعو الدكتور اصطيف لتقديم ورقته .

ورقة العمل :

١ ـ وظيفة النقد

يسعى ميخائيل نعيمة في مطلع مقالته « الغربلة » (التي حاول من خلالها شرح طبيعة النقد الأدبي ووظيفته ودوره في المجتمع العربي في نهاية الربع الأول من القرن العشرين) إلى تسويغ هذه الفعالية الانسانية المتصلة بالآخر بإقامتها على أساس متين من حق الإنسان في التعبير الحر عن آرائه وأفكاره ومشاعره فيقول :

« إن شخصية الكاتب أو الشاعر هي قدسه الأقدس ، فله أن يأكل ويشرب ويلبس ما شاء ومتى شاء وحيث شاء . له أن يعيش ملاكاً ، وله أن يعيش شيطاناً ، فهو أولى بنفسه من سواه . غير أنه ساعة يأخذ القلم ويكتب ، أو يعلو المنبر ويخطب ، وساعة يودع ما كتبه وما فاه به كتاباً أو صحيفة ليقرأه كل من شاء ، ساعتئذ يكون كمن سلخ جانباً من شخصيته وعرضه على الناس قائلاً : « هو ذا ياناس ، فكر تفحصونه ، ففيه لكم نور وهداية ، وهاكم عاطفة احتضنوها فهي جميلة وثمينة » ، وإذ ذاك يسوغ لي أن أحكّ فكره بمحك فكري ، وأن أستجهر عاطفته بمجهر عاطفتي ، وبعبارة أخرى ، أن أضع ما قاله لي في غربالي لأفصل قمحه عن زؤانه وحسكه فذاك حق لي كما أن من حقه أن يكتب ويخطب »[1] .

وهكذا فإن الكاتب بمجرد ممارسته لحقه في نشر ما اختار من فكره وشعوره وميوله يعطي الناقد حق نقد هذا المنشور والنظر فيه شرحاً وتفسيراً . وتحليلاً ، وموازنة ، وحكماً ، ولكن هذا التسويغ المنطقي الذي يلجأ إليه نعيمة ليس السبيل الأمثل فيما يبدو لي لبيان مشروعية النقد الأدبي . ذلك أن هذه الفعالية الإنسانية المهمة جداً في جميع وجوه الحياة البشرية وبخاصة في بحثها عن هامش الأفضل في هذه الوجوه ينبغي أن تسوغ على أساس من وظيفتها الحيوية في مختلف جوانب عملية الانتاج الأدبي في أي مجتمع إنساني أولاً ، وعلى قاعدة من أنموذج التفكير السليم الذي تقدمه من خلال ممارستها ثانياً ـ هذا الأنموذج الذي ينبغي أن يتسع ليشمل في تأثيره جميع وجوه الحياة الإنسانية التماساً لكل تقدم ممكن في أي منها . ولعل هذا ما دفع بالكثير من النقاد في مختلف العصور والتقاليد الثقافية القومية إلى دراستها تحت عناوين مختلفة ، ربما كان من أبرزها « وظيفة النقد في الوقت الحاضر » لماثيو أرنولد[٢] ، و « وظيفة النقد » لإليوت[٣] ، و « مهمة النقد » لهيلين غاردنر[٤] ، و « وظيفة النقد اليوم » لألفرد كازين[٥] ، و « النقد ووظائفه » لمحمد مندور[٦] ، و « وظيفة النقد من مجلة السبكتيتر إلى ما بعد البنيوية » لتيري إيغيلون[٧] ، و « وظيفة النقد : إنسانية ونقد » لروبرت كون ديفيز[٨] ، ورونالد شليفر[٩] ، وغيرها .

* * *

٢ ـ مدخلان :

والحقيقة انه فضلاً عما يمكن أن يقدمه توضيح وظيفة النقد من مشروعية للفعالية النقدية وممارساتها في أي مجتمع ، فإن مناقشة هذه الوظيفة وجه مهم من وجوه البحث في نظرية النقد التي تشمل طبيعته ووظيفته وحدوده . ذلك أن من الحيوية بمكان أن يكون جميع المسهمين في عملية الانتاج الأدبي في المجتمع على بينة من هذه الوظيفة حتى يتبينوا خطورتها وأهميتها ويحرصوا بالتالي على سلامتها ، لما تنطوي عليه من سلامة لعملية الانتاج الأدبي ذاتها .

ولكن ما السبيل الأمثل لدراسة هذه الوظيفة ؟ يبدو لي أن ثمة مدخلين أساسيين لمقاربتها هما :

ـ المدخل التاريخي التطوري Diachronic الذي يتتبع بالدرس بيانات النقاد عبر العصور وفي مختلف التقاليد القومية عن هذه الوظيفة وممارستهم لها في مجتمعاتهم .

ـ و المدخل الآني Synchronic الذي يسعى إلى النظر في هذه الوظيفة من الموقع المعرفي الذي ييسره العصر ، فيتفحصها محدداً صورها الفعلية والممكنة ، ويجمع بالتالي بين الانطلاق من الواقع الراهن المؤسَّس على الماضي المنصرم واستشراف المستقبل الذي يرجى أن يكون امتداداً طبيعياً لهما معاً . وكما أن الأدب فيض يشبه الزمن المنطلق من الأزل نحو الأبد يكون النقد المحكوم بالأدب أساساً مشروعاً ممتداً مفتوحاً في ممارساته على الماضي الضارب في القدم ، والمستقبل الملفع بالأمل ببلوغ ما هو أفضل .

وإذا ما رغب المرء في تبني هذا المدخل فإن عليه أن يميز في تفحصه لصور وظيفة النقد بين الوظائف المتصلة بالعملية الأدبية ذاتها وتلك التي تتجاوزها ، أي بين الوظائف الأدبية ، والوظائف فوق الأدبية Extra-literary .

* * *

٣ ـ الوظائف الأدبية :

فأما الوظائف المتصلة بالعملية الأدبية ذاتها فانها يمكن أن توزع على العناصر الأساسية الثلاثة في هذه العملية وهي الكاتب ، والقاريء ، والنص .

٣ ـ «أ» ـ تجاه الكاتب :

ولننظر باديء ذي بدء في الوظائف التي ينبغي أن يؤديها النقد للكاتب ، أو المنتج أو المؤلف ، أو المرسل ، أو المبدع ، أو سمِّه ما شئت .

ربما كانت أولى هذه الوظائف هدايته إلى ما يصلح له من أجناس أدبية رئيسية

أو فرعية . فالرغبة والميل لا يكفيان في عملية الانتاج الأدبي ، فثمة الاستعداد والامكانات والقدرات والمؤهلات الفطرية والمكتسبة وغير ذلك مما يشكل اكتشافه في وقت مبكر من حياة الأديب عاملاً مهماً جداً في وضع أقدامه والمضي خطوات واسعة في السبيل التي تقوده إلى النتيجة المرجوة والغاية المأمولة . ولاشك أن للنقد دوراً مهماً يؤديه هنا في مساعدة الأديب في اختيار السبيل التي تلائم استعداداته وامكاناته وقدراته ومؤهلاته ، ولا أظن أن ثمة حاجة للإشارة إلى أن إخفاق العديد من الكتاب مردّه أنهم لم يكتشفوا نقاط قوتهم ويفيدوا منها في اختيار الجنس الأدبي الذي يمكن أن يتقدموا فيه ، وأن النقد لم يساعدهم في هذا الاكتشاف ، وبالتالي خاب سعيهم لأنهم اختاروا ما لايصلحون له .

ولنسمع نعيمة ثانية يحدثنا عما يمكن للناقد أن يقدمه للكاتب في هذا المجال . يقول نعيمة في (الغربال) :

« والناقد مرشد لأنه كثيراً ما يرد كاتباً مغروراً إلى صوابه أو يهدي شاعراً ضالاً إلى سبيله . فكم من روائي عظيم توهم في طور من أطوار حياته أنه خلق للقريض . لكنه نظم ولم ينظم سوى كلام . إلى أن قيّد الله له ناقداً رفع الغشاء عن عينيه فأراه أن الرواية مسرحه وليس البحور الشعرية »(١٠)

وثمة بعد ذلك مساعدة الكاتب على تطوير عمله في الجنس الأدبي الذي اختاره ، فلا شك أن للناقد دوراً مهماً هنا في بيان المؤشرات الايجابية والسلبية في عمل أي كاتب ، وتوضيح سبل تعزيز المؤشرات الايجابية ، وطرق تجاوز المؤشرات السلبية ، فضلاً عن دوره التعليمي في توضيح الكثير من الأمور التقنية المتصلة بعملية انتاج النص الأدبي التي ربما لم يتح تكوين الأديب الثقافي له أن يستوعبها ويعيها ويفيد منها في انشائه لنصه . وكان جلّ اعتماده في ممارستها على التقليد والمتابعة للآخرين دون فهم حقيقي لمختلف أبعادها . وهنا بالطبع ما يقدمه الناقد من رؤى واستبصارات لمختلف جوانب العملية الابداعية من خلال شروحه وتحليلاته وتفسيراته وموازناته وأحكامه التي تتناول نصوص

الأديب . وعلى الرغم من أن البعض يقلل من أهمية هذه الوظيفة لأنه يعتبر نفسه كأديب أولى بفنه وأكثر تفهماً له وأعمق تبصراً بخفاياه من غيره ، ولكن الحقيقة التي لا يمكن أنكارها هي أن الناقد المبدع يستطيع أن يرى في كثير من الأحايين أكثر مما يمكن أن يراه الأديب نفسه في أعماله أو آثاره .

وعلى أي حال فإن الأدباء الذين لا ينظرون بجدية إلى الوظيفة السابقة ويرون فيها مجرد ادعاء يغطي به الناقد عجزه عن ممارسة كتابة الانشاء الأدبي ، يقرون بوظيفة أخرى للناقد هي قيامه بشرح العمل الأدبي وتفسيره أو إيصال دلالته إلى القاريء ، أو بدور الوسيط بين الكاتب والقاريء . وعلى الرغم من أن الكثير من الأدباء لا يرضون في الغالب عن شروح الناقد وتفسيراته ويشككون فيها ، فإنهم من جهة لا يفتأون يشكون من قصور النقد وعدم أدائه لوظيفته البينية هذه ، وتراهم باستمرار ساخطين على النقاد لإهمالهم أعمالهم وانشغالهم عنها بأشياء أخرى ، أو لتمييزهم بين هذا وذاك من الكتاب ، والأدهى من كل ذلك أنهم يشككون بالنقاد لأنهم غير موضوعيين في تناولهم أو غير مؤهلين لدراسة أعمالهم ، أو لا يستطيعون التحليق إلى سماوات الإبداع التي لا تتيسر إلا لنسور الأدباء دون بغاث النقاد . والحقيقة أنه ما فتئت العلاقة بين الأديب والناقد علاقة توتر ونفور وسخط وتبرم نتيجة لغياب المناخ الصحي السليم المعافي لممارسة النقد في المجتمع العربي الحديث مما لا مجال للحديث عنه في هذا المقام .

* * *

٣ ـ ب ـ تجاه القاريء :

وإذا ما انتقل المرء من وظائف النقد تجاه الكاتب إلى وظائفه تجاه القارىء فإنه يجدها أكثر وضوحاً وأقل خلافية . وأول ما يمكن ملاحظته هنا أن القراء عامة يقرون لنقاد الأدب في معظم الأحيان بتوافر الخبرة والوقت اللذين يسمحان لهم بممارسة وظائفهم تجاه قرائهم خاصة ومجتمعهم عامة . ومع أن القراء العرب لا

يعتمدون كثيراً في اختيارهم لما يقرأون على النقاد وآرائهم في النتاج الأدبي الجديد بقدر اعتمادهم على بريق الأسماء والاثارة التي توفرها اليوم مختلف وسائل الإعلام وأحياناً أجهزة الرقابة ، فإن المرء لا يمكنه إلا أن يقر من جهة أخرى أن مؤسسة المراجعة أو Reviewing الراسخة الأقدام في المجتمعات المتقدمة مهمة جداً في إرشاد القاريء إلى ما ينبغي أن يقرأ من ركام الكتب التي تقذف بها المطابع كل صباح ، خاصة وأن أثمان الكتب مرتفعة ، وضيق ذات يد القراء المدمنين من أصحاب الدخل المحدود ، ومحدودية رفوف كتبهم في الشقق الشبيهة بعلب الكبريت التي تسود عادة في المدن العربية ، تجعلها أكثر حيوية وضرورة في المجتمع العربي الحديث ، وفضلاً عن ارشاد القاريء إلى ما ينبغي له أن يقرأه فإن الكثرة الكاثرة من النتاج الأدبي الجديد بحاجة إلى دليل للقاريء يرافقه في تقليبه لصفحات ما يقرأه يشرح له ما غمض منه ، ويفسر ما استغلق عليه ، ويحلل له ما كان معقداً ، ويوازنه بأضداده وأمثاله ، ويحكم عليه ، وينزله المنزلة التي تحدد موضعه في نفسه .

صحيح أنه يفترض بالمؤسسات التعليمية من مدرسة وجامعة ومعهد متوسط وغيرها أن تقوم باعداد القارىء على نحو ما لاستقبال مايقرأه بالحد الادنى من الفهم والاستيعاب والتذوق والتقدير ، ولكن وضع هذه المؤسسات في المجتمع العربي الحديث وعدم وعيها لوظيفتها الحيوية هذه يؤكد أهمية وظيفة النقد تجاه قرائه وخاصة في الاخذ بيدهم وقيادتهم في معارج الادب وسماواته .

والواقع ان القراء حتى اولئك الذين تيسر لهم تدريب معين في مرحلة من مراحل تكوينهم الثقافي ـ بحاجة إلى مايمكن تسميته بالتعليم المستمر في ميدان نظرية الادب وكل مايتصل بعملية انتاج الادب في المجتمع ، وهذه تفرض على النقد وظيفة مستمرة هي تثقيف القارىء أو على الاقل إحاطته علماً بكل مايجد من فن الادب والفنون الاخرى وما يستتبع ذلك من تطور سبل مقاربته ودرسه . وإلى جانب ذلك ثمة وظيفة تصحيح الاذواق التي تألف السائد والشائع وتنفر من الجديد والرائد والطليعي وربما تصبح عدوة له ـ والانسان ابدا عدو لما يجهله ـ وهذا نعيمة يحدثنا بطريقته الخاصة عن هذه الوظيفة فيقول :

« لكننا في حاجة الناقدين لان اذواق السواد الاعظم منا مشوهة بخرافات رضعناها من ثدي أمسنا وترهات يومنا ، والذي يضع لنا اليوم محجة لندركها في الغد هو الرائد الذي سنتبعه ، والحادي الذي سنسير على حدوه »(١١) .

وهذا اليوت يقرن بين وظيفة توضيح الاعمال الفنية ووظيفة تصحيح الذوق فيقول : « ينبغي للنقد أن يقرّ دائماً بهدف منظور ، وهو ، على وجه التقريب ، توضيح الاعمال الفنية وتصحيح الاذواق »(١٢) .

وأخيراً فإن هناك وظيفة تحقيق التواصل الافضل بين القارىء والكاتب وخاصة الخارج على قانون السائد والمألوف في المعايير والمقاييس والانظمة والقيم الفنية في مجتمع معين . فكثيراً « ما يخرق المتميزون والعباقرة من الأدباء والكتاب معايير مألوفة ، ومقاييس سائدة ونظماً مقرا بها وقيماً مجمعا عليها فيُضطهدون ويُستبعدون وقد يحاربون حتى في لقمة عيشهم بغرض اعادتهم إلى الطريق المألوفة التي تجمعهم بقرائهم ، ويأتي ناقد مرهف الحس ، نافذ البصيرة ، حاد الذكاء ، عميق التفكير فينظر في انتاج هؤلاء المتميزين والعباقرة ويعطيه حقه من الدرس والتحليل وبالتالي من القيمة ويتسعيد له مكانته التي ينبغي ان تكون له بعد اقناع الناس بجدواه وجديته وسمّوه ويكون بذلك قد قام بوظيفة حيوية ومهمة في تطوير عملية الانتاج الادبي في مجتمعه والرقي بها وتوضيح الآفاق الجديدة التي تستشرفها .

مهما كان الامر فان ماتقدم من وظائف للنقد تجاه الكاتب والقارىء ليست في حقيقة الامر إلا من لوازم وظيفته المباشرة والاساسية وهي مقاربته للنص الادبي الذي هو الساحة الفعلية لمجمل الافعال والنشاطات العلمية النقدية كالشرح والتحليل والتركيب والتفسير والموازنة والمقارنة والحكم وغيرها ، فما هي هذه الوظيفة وما هي جوانبها المختلفة ؟

٣ ـ جـ ـ تجاه النص :

ربما كان من اولى وظائف النقد تجاه النص تثبيت هويته ، واذا كان النص الحديث لايطرح هذه المشكلة على نحو صارخ بسبب وجود التسهيلات الطباعية والتسجيلية المختلفة التي تيسرّ تثبيت هويته ومن ثم وصولها إلى القارىء ، فإن

النص القديم بمخطوطاته المتعددة المتفاوتة في قدمها وفي قربها من نص المؤلف الذي كتبه أو أملاه ، وفي توزعها في مختلف البقاع ، وبما يطرحه تحقيق هذا النص من مشكلات ومصاعب ووجهات نظر ، وقراءات وغير ذلك ، ربما كان مؤشراً واضحاً على حيوية هذه الوظيفة التي تقوم على أساسها الوظائف الاخرى ، فكيف للناقد أن يؤدي أيّاً من العمليات النقدية الاخرى اذا لم يستطع أن يثبت هوية النص الذي بين يديه ؟ وبالطبع فإن هذه المشكلات والمصاعب لاتكاد تذكر عندما يأتي الامر إلى تثبيت هوية نصوص الادب الشعبي المتناقلة شفاها » ، والتي تكاد تكون نصوصاً عائمة . وعلى الرغم من ان الحديث عن وظيفة النقد في هذه السطور ينصرف إلى الادب المدون فإن الادب الشعبي جزء مهم من الموروث الشعبي الذي يشكل بدوره مكوناً أساسياً من المكونات الثقافية للأمة ، وهو في ذلك مثله مثل اي فن شفوي أو مدون ، يتبادل التأثير والتفاعل مع الآداب المدونة ويسهم بطريقته الخاصة في تشكيل عقلية منتجيها وناقديها معاً .

ومن المعروف أن هوية النص متصلة أوثق الاتصال بهوية صاحبه ، ومن المهم للناقد قبل مباشرته لنصه أن يتحقق ليس فقط من هوية هذا النص بل ان يتثبت كذلك من نسبته لصاحبه ، ومشكلات النحل والانتحال قديمة قدم الادب نفسه ، شائعة شيوعه بين الامم والشعوب ، ولايستطيع النقد تجاهلها ، إذ لابد من مواجهتها والتغلب عليها (كما فعل ابن سلام في بدايات النقد العربي الكلاسي في مؤلفه المهم طبقات فحول الشعراء) حتى يستطيع أن يمضي إلى تأدية وظائفه النقدية الاخرى تجاه النص ومنتجه ومستهلكه .

وبعد ان يتثبت النقد من هوية النص وصحة نسبته لصاحبه فإن عليه أن يقوم بوظيفة خدمته المتمثلة بالشرح لما يصعب على القارىء فهمه ، والتحليل للمعقد من جوانبه والتفسير لما استغلق من رموزه ودواله ، والموازنة له بنظيره والاشارة إلى ماتفق فيه واختلف مع النصوص الاخرى في الادب القومي أو في الآداب الاجنبية الاخرى التي كان على تماس معها ، ثم الحكم عليه وبيان منزلته

وموضعه من مسيرة الجنس الادبي الذي ينتمي اليه في الادب القومي الذي ينضوي تحت لوائه .

وهذه الوظيفة تؤدي في المجتمع من خلال المؤسسات التربوية (المدرسة ، المعهد ، الجامعة) والثقافية (الكتاب ، والمحاضرة ، والمؤتمر ، والندوة) والاعلامية (الدورية ، والاذاعة والتلفزيون) التي تحكمها من مختلف جوانبها ، وتحدد مستواها وأهدافها ، وغاياتها واجراءاتها) وطرقها وغير ذلك مما يدركه ممارسو النقد في هذه المؤسسات بحدسهم قبل ان يواجهوه بتجاربهم المباشرة وغير المباشرة .

وعلى الرغم ان هذه الوظيفة تكون مرتبطة بالمؤسسة المعنية ، محفورة بها ، موجهة لخدمتها ، ومساندة لاهدافها وتوجهاتها العامة ، فإن ثمة وظيفة نظيرة لها تتصل بها وإن كان ذلك على نحو غير مباشر ، هي وظيفة الدفاع عن النص الادبي وحمايته من سوء الاستخدام وسوء التوظيف اللذين قد يمارسان من جانب النقاد او الدارسين الذين يضعون النص الادبي أحياناً في خدمة أهداف خارجة عن وظائفه الحيوية في الحفاظ على القيم التي تبقى على انسانية المجتمع الانساني التي تغدو ثانوية بالقياس إلى قيام هذه المؤسسات واهدافها وغاياتها .

والحقيقة أن هذه الوظيفة جزء من وظيفة أشمل تتصل بهذا النص من حيث كونه جزءاً مهما من تراث الامة التي ينتمي اليها الناقد ـ هذا التراث الذي ينبغي ان يظفر بالعناية التي تليق به وتحفظ من خلاله هوية الامة التي أنتجته ، صحيح أن المجتمع بمختلف مؤسساته يسعى للحفاظ على هذا التراث ، إلا أن على الناقد أن يؤدي هنا وظيفة القيم على المثل والمبادىء والقيم التي ينطوي عليها هذا التراث فيبرزها فيه ، ويعمّق ابعاد وجودها في مختلف جوانبه ، ويحميها حتى لاتكون في موضع الخادم لما هو خارج عنها من مصالح واهداف دنيوية آنية تتصل بمؤسسة ثقافية او تربوية او اعلامية او سياسية تتجاوز الاعتبارات الانسانية القريبة والبعيدة المدى .

مهما كان الامر فان وظيفة النقد الاساسية هذه ينبغي ألا تنصرف فقط إلى النصوص الموجودة بالفعل من الأدب القديم أو الأدب الحديث بل يجب كذلك ان تعني بالنصوص الموجودة بالقوة فتسعى إلى نقلها من طور القوة إلى طور

الفعل باستشراف آفاق تطور النص الادبي الممكنة ورسم معالمها وتوضيحها وربما تحديد مساراتها للسالكين من شداة الأدب وشيوخه حتى يبلغوها ويرتقوا بالنص الادبي الحاضر إلى مستويات ارفع تليق بالامة التي ينتمي اليها وتليق بالانسان الذي ربما كان من اهم مايميزه عن غيره من المخلوقات أنه كائن طموح .

٤ ـ الوظائف فوق الادبية :

والحقيقة ان هذا الطموح في الكائن البشري هو مايدفعه إلى التطلع إلى آفاق اخرى لوظيفة النقد يتجاوز فيها الوظائف الأدبية التي تقدم ذكرها إلى الوظائف فوق الادبية ويسمو فيها فوق عنصرين من عناصر المجتمع ، هما الكاتب والقارىء اللذين يجمع بينهما الأدب إلى المجتمع بأسره والحياة بشمولها ، وربما كان من ابرز الوظائف التي يتطلع النقد إلى ممارستها تجاه المجمتع تأكيد القيم السامية في أي عمل إنساني والالحاح على هامش « الافضل » في الحياة الانسانية والتذكير به باستمرار والحفز على بلوغه والسعي نحوه بشتى السبل . إن الحس النقدي الذي يُميِّز دائماً بين الغثّ والسمين كمرحلة اولى ، وبين الجيد والاجود من غيره ، والاجود إطلاقاً كمرحلة ثانية ، وبين الواقع وبين الممكن كمرحلة ثالثة ، وبين الممكن بالفعل والممكن بالقوة في الانسان او في اي عمل تأتيه يداه ، كمرحلة رابعة ، والذي يؤمن ايماناً عميقاً بأن الزبد يذهب جفاء وان الذي ينفع الناس يمكث في الارض ، والذي يأخذ على عاتقه الافصاح عن ضمير المجتمع والامة ، والتذكير دائماً بما يبقى على هويتها الاصيلة من القيم والمثل والمبادىء والمعايير والمقاييس والاعراف ، ينبغي أن يشمل كل جوانب الحياة الانسانية . ويجب ان يمارس بداية من جانب النقاد الذين يقدمون لمجتمعهم وأمتهم نماذج سامية هادية في التفكير السليم والمعافي تحتذي ممن يأخذ عنهم حضوراً أو سطوراً في مختلف وجوه الحياة البشرية ، في السياسة ، والاقتصاد ، والتربية والتعليم ، والثقافة ، والفكر ، وغيرها ، وأكاد أزعم انها ينبغي ان تستلهم في السلوك اليومي للافراد ، يأخذون بها أنفسهم ومن حولهم حتى يقوم كل شيء في المجتمع الانساني على اساس من العقل ، المشفوع بالرؤية المتبصرة ، المتطلع أبداً إلى مستقبل افضل يليق بخليفة الله فى الارض .

الحـــوار

علي عقلة عرسان :

في هذه الكليمات التي اقدمها أحب أن أبدأ بالتأكيد على أهمية ما اشتملت عليه الورقة وعلى وضوحها أيضاً وسوف اتوقف عند بعض النقاط التي اثارتها الورقة وأحاول أن اضيف ما اعتقد انه من وظيفة النقد حددت الورقة مقولة نسبتها إلى الناقد ، وهذه المقولة تزعج المؤلف في أكثر الاحيان ، فقالت أنه يقوم بدور « الهادي » ، وعند المؤلف ينقلب دور الهادي إلى دور الاستاذ المعلم ، ويقترن هذا بنوع من الفوقية التي توتّر دائماً علاقة المؤلف بالناقد ، وأنا لا أزعم أن النقد ينبغي أن يتخلى عن هذه الوظيفة ، ولكنني لا أحب لها هذه التسمية ، ولا احب أيضاً أن يدخل الناقد على المؤلف أو على النص هذا المدخل ، اذا كان للنقد من أهمية ووظيفة ودور حيال المؤلف صاحب النص ، فإن ذلك لا يتأتى الا من خلال اقتدار الناقد على ان يقدم للمؤلف عيوبه على طبق من ذهب ، وأن يتقرب إليه تقرب الصديق لاتقرب الاستاذ ، وأن لاينفره بقلمه عن مسارٍ قد يكون صحيحاً يريده له ، وكثيراً ما نشأت علاقة نافرة بين ناقد ومنقود من جراء استخدام بعض الكلمات فتركت فجوة ، وشكلت جرحاً ، أنا أريد أن أنظر إلى الناقد من خلال هذه الوظيفة بالذات ، على أنه صديق عارف كبير ، وهذا الصديق العارف الكبير يعرف كيف يقدم علمه بأدب وأدبه بعلم ، وأن يستوطن قلب المؤلف بحب ، وعندها يبث آراءه دون أستذة ودون تعليمية واضحة .

وسأقرن بين مدخل الناقد الى المؤلف ومدخل الناقد الى القاريء ، فكثيرا مانرى نقدا تناول نصوصا او مؤلفين او معلوماتية معينة في النقد بكثرة او بزخم من المصطلحات وبوفرة من المعلومات التي لا تمت الى الحالة الوضعية النقدية بصلة ، فيستعرض عضلاته على القاريء والمؤلف مما يجعل الاثنين في حالة اقرب الى الاحباط ، فقد يلجأ بعض النقاد الى تكثيف المعلوماتية المصطلحية والى اشتقاقات واصطلاحات كثيرة ، والى سوق اسماء كثيرة حتى ليذهل القاريء عن هدف النقد في تلك اللحظة ، او عن وظيفة الناقد في ذلك

الموضوع ، وإذا جاز لي ان استعمل تعبيرا وأن أقتطف مصباح ديوجين للحظة عابرة ، فانني اقول ان الناقد المحب العارف الصديق ، هو ذلك الذي يستعير مصباح ديوجين بأدب ليسير في مجاهل النص ويلقي الضوء على تلك المجاهل ليبرز مناطق الجمال ، ويسهل ماصعب في التأليف ويبين القيم ، وليس العمل الأدبي في نهاية المطاف الا مجموعة من القيم ، وايضا يبرز بعض مواطن الابداع التي غابت حتى عن المؤلف في قصدية واضحة يبرزها للمؤلف ذاته ، فيثير فيه اعجابا وعجبا ، وبالتالي يقيم جسرا من الثقة وبين الاثنين لمرات قادمة .

لا أحبذ كما قلت وظيفة الابوة بالنسبة للناقد ولكن وظيفة الأخ الأكبر او المحب الكبير .

نقطة اخرى اريد ان اقف عندها ، هي ارشاد القاريء الى ماينبغي ان يقرأ ، وأقول كما قالت الورقة ان هذه مهمة أولى ، وأود أن أشير الى مهمة أولى أخرى وهي ارشاد القاريء الى مواطن الابداع في مايقرأ ، وإلى كيفية استيعاب مايقرأ ، وإلى كيفية تحديد وتفسير النص ، وتوسيع دائرة المعرفة به عبر تاريخ المعرفة الانسانية ، وعبر انتماءات النص الى العطاء الثقافي من جنسه او من أجناس تتصل به ، وأكاد أتوقف كثيرا عند هذه الوظيفة ، لأنني استجلي فيها استاذية كبيرة للناقد دون ان يعلن عنها ، استاذية يقدمها بتواضع جم فيسحر القاريء ويسحر المؤلف معا ، وهي تقديم مواطن الجمال وسبحات الفكر وتجليات الابداع والقيم الفنية والفكرية في النص والمضمون الذي يمكن ان يرتقي اليه والمعاني التي يمكن ان تستشف منه ، ذلك تعميق للمعرفة على ارضية النص كنص ، وعلى ارضية المؤلف كمبدع أول النص ، والناقد الذي يريد ان يختطف اولوية الابداع من المبدع الأول ، سوف يفوز بغضب وسخط ذلك المبدع ، ونحن نعرف دائما ان الابداع سابق على النقد ، وان النقد له الوظيفة الكبيرة ، ولكن ليس له الا السبق في الابداع النقدي ، وليس السبق على الابداع ذاته ، قال جوتيه ان قاريء الرواية والناظر الى المسرحية يشعر بالفرج والخلاص وانفعالاته التي زودت ببؤرة تتركز فيها تتركه في نهاية تجربته الجمالية في حالة من هدوء العقل ، ويأتي الناقد دائما ليجعل حالة هدوء العقل تلك حالة

متوقدة ، حيوية ، منفتحة على الآخر ، وأن يطوف مع الابداع في مجالات عديدة .

وعلينا هنا الا ننسى قضية مطروحة على الابداع ، ولكنها موكلة ايضا الى النقد ، وهي قضية الحرية التي تتجلى احيانا حتى في مصطلح الحداثة ، فالنص او المؤلف او الابداع دائما يرمى الى قضية الحرية في اى نص ، وعلى الناقد ، لاسيما في مجتمعات تتفاعل او تتعامل مع الأدب كمجتمعاتنا ، ان يركز على قضية وظيفة الحرية في النص الابداعى او لدى المؤلف ، لأن النص المبدع او المكتوب ، فهو يرمى إما إلى تحرير الروح من الاغلال ، او إلى تحرير المجتمع من رواسب التخلف ، أو إلى تحرير الجماعة البشرية من جهل ومن قيود نفسية اجتماعية وغير ذلك ، ولقد ربطت قضية الحرية بقضية الحداثة لأنه أحيانا تعرّف الحداثة بأنها نوع من الضربة الحرة في كل المجالات ونحو كل المدارس والاتجاهات في فتح طريق الحرية امام الابداع ، وايضا فتح طريق الحرية امام التلقي ، وعندما يفتح الناقد طريق الحرية وينير هذا الطريق ويضخم هذه المقولة عند المؤلف فإنه يجعله يسلك الطريق الأهم الذي يسلكه الابداع حيال البشرية ، وهو تحرير الانسان من جوع وخوف ، وايضا تحرير الانسان من كل المعوقات الداخلية المرتبطة بالمعرفة ، او المرتبطة بالحياة والمرتبطة بالظلم او اى حس آخر يسيطر عليه ، وظيفة النقد في هذا الجانب وظيفة تخدم الفكر ، تخدم المضمون ، تخدم وظيفة الأدب ، وتضيف الى وظيفة النقد تعميق وظيفة الأدب في الحياة الاجتماعية ، وفي اطار الابداع ذاته حيث يصبح الابداع مستشعرا لأهمية الحرية عند التعامل مع الكلمات ، وقد قال سارتر في كتابه مامعناه : ليس معنى العمل الأدبي هو مجموعة الكلمات التي فيه حتى نركز كمبدعين او كنقاد ، على نوع الكلمات ومجموع الكلمات ومترادفات الكلمات ، لا ، إن المعنى هو في المجموع العضوي للكلمات ، اى فيما تقدمه الكلمات بعد ذلك من مضامين وقيم ، وليس كثرة تلك المفردات او تنوعها او غناها .

ومن وظائف النقد الاساسية ان يعرف كيف تعامل المؤلف مع اللغة وكيف اصبح النص على يدى المؤلف مجموعة من الكلمات موظفة بدقة ، او غير موظفة

بدقة ، الناقد هنا يدخل مدخلا عريقا ونافعا وعظيما تجاه المؤلف حينما يركز على كيفية تعامل المؤلف المبدع مع الكلمات وتوظيفه لها : هل وظفها التوظيف الابداعي الكثيف ذا المضمون الذي يعقله عقل ، وتحدده وظيفة النص وأهداف النص ، وهل بذّر أو اقتصد في ذلك ، وأين ركز جماليا وأين أضاع الخيوط ان صح التعبير ، فانفرط عقد النظم وأصبح نشاز كلمات لايجمعها مضمون رئيسي ، وقضية التعامل مع الكلمات تحديدا ، وكيفية توظيفها في مضمون عضوي ، من القضايا التي أرى ان النقد لابد ان يلتفت اليها ليخوض في معنى المعنى الذي ركز عليه الجرجاني كثيرا ، والذي ناقشه نقادنا العرب كثيرا ، والذي تفوز فيه لغتنا العربية بقصب السبق ، لأنه من غني الدلالة في الألفاظ ومعانيها مما لا يتوافر في لغة اخرى .

قضية اخرى اراها مرتبطة بمجتمعاتنا وبتاريخ الأدب وتدخل في وظائف النقد لأنها اصلا من وظائف الأدب ، وهي قضية اشارت اليها فيرجينيا وولف في كتابها « مستر براون » تتلخص تلك المقولة في الآتي :

تقول عندما تتغير العلاقات بين البشر فلابد ان يتبع ذلك تغيير في النظرة الى الاخـــلاق والسلـوك والسياسة والأدب ، وهذا التغيير مبني على معطيات اقتصادية وسياسية عامة ، في مضمون الحياة وفي علاقات الناس ، وفي علاقات الشرائح الاجتماعية والمؤسسات في المجتمع رسمية وغير رسمية ، والسؤال كيف يمكن ان يواكب النقد قضية التغيير الاجتماعي السياسي المنعكس على الأدب ، والتغيير الأدبي المنعكس على المجتمع ، تلك النقطة التي قد لا يتنبه المبدع لها ، ولكنه قد ينساق ابداعيا بالتعبير عنها لأنه يعيش الحياة وينسرب في مساراتها ، ويأتي الناقد ليستشرف تلك المسارات وليحدد المتغيرات والسبل التي يسير فيها الأدب في فترة من الفترات ، وبالتالي يضع علامات حول هذه الظواهر ، وأين تسير ، وبالتالي يرصد تحرك الأدب والتعبير الأدبي ، ولينبه المبدع إلى كونه مسئولاً في المجتمع عن المسارات التي اتخذها ، وتلك المحتملة ، وتلك الضرورية ، ولكنه تنبيه العارف الذي لا يمسك عصى غليظة ويخبط الرؤوس ، هذا الدور هو دور تنظيري للنقد ، ولابد ان يقودني هذا الى وظيفة

اخرى للنقد احب ان اشير اليها ، هي وظيفة نقد النقد ، وتقويم مايقوم به النقاد من اعتساف ، ومايقوم به قلة ، وأريد ان اكرر الكلمة ثلاث مرات ، قلة ـ قلة ـ قلة من النقاد من جرائم بحق المبدعين ، حيث يقومون بأعمال اعتسافية تحكم على المنقود من موقع مسبق ، وموقف مسبق سياسي أو أيديولوجي إلى آخره ، وبالتالي يأتي نقدهم قتلا ، ولا يأتي هذا النقد شفيعا للنص عند القاريء ، أو شفيعا للابداع عند المؤلف ، وانما يأتي وكأنه مقصلة ، وكأننا في عهد ربسبير نجتث النصوص كما نجتث الرؤوس ، هذه الوظيفة تحتاج منا إلى البحث عن الناقد العالم ، والناقد المنصف ، وأنا فى تقديرى أننا فى هذه المرحلة من الحياة الأدبية والابداعية العربية نحتاج إلى إعادة تقويم نقدية على أسس سليمة ، لا أقول موضوعية حتى لا يذهب الرأى أو الظن أو الاستماع إلى الرأى الموضوعى ، وإنما إلى قيم ومقومات موضوعية تستند إلى معايير وإلى قيم وإلى مقومات فنية ونقدية سليمة ، لنعيد النظر فى التراتبية السائدة الآن فى مجال الأبداع الأدبى والنصوص والشخصيات ، لأن هذه التراتبية مخلة تماماً وفرضت على الساحة الثقافية أشياء في ميزان مختل ، وإذ لم نعد التراتبية على أرضية من النقد الجرىء الشجاع المالك لمقومات الناقد والنقد ، فان الساحة تبقى على أساس النقد الاعلامى السائد الذى يرفع ويخفض حسب الهوى وحسب القراءات الأفقية ، أو حسب القراءات التى تقوم على موقف مسبق .

وهذا الأمر يحتاج من النقاد بشكل عام الى تكاتف حتى لا يسقط واحدهم وراء الآخر دون أن يحقق نتيجة ، لأن ساحات المواجهة أمامهم ساحات ليست عارية من الأسلحة ، وأيضا ليست عارية من استخدام الأسلحة بطريقة غير أخلاقية وشكراً .

نعيم اليافي :

أود أن أبدأ مداخلتي عن وظيفة النقد بتأكيد ثلاثة أمور تتعلق كلها بمفهومه ، وما يؤسس على هذا المفهوم من طبيعة أو وظيفة .

أولها أن النقد جزء لا يتجزء من الفكر العام للثقافة في عصر ما وبيئة ما ، ومن ثم فهو يرتبط بالاطار المعرفي للانسان ، وبالتالي فهو يعبر عن موقفه أو رؤيته ازاء الكون والحياة ، ومن دون هذا الربط بين الوظيفة والمفهوم والمعرفة لا يعود للنقد العام ولا الخاص أي دور ولا أية أهمية .

وثانيها أن هذه الوظيفة الفعلية للنقد هي الوجه الآخر لعملة وجهها الأول هو وظيفة الأدب ، فالوظيفتان صنوان ، تتبادلان الفعل ورد الفعل احداهما يعبر عنها بالانشاء ، وأخراها يعبر عنها بنقد الانشاء ، أو لنقل بكلمة أدق يعبر عن أولاهما باللغة واخراهما باللغة على اللغة .

وثالثها أن النقد وجهة نظر تعدد فيها الآراء ، تختلف او تتفق ، ولا ضير في ذلك ، والمهم أن يقوم بين الآراء المتعددة تجاور وتحاور في محاولة لتلمس أنجع السبل لتحقيق الغاية المرجوة من النقد كوظيفة .

خلاصة هذه الأمور الثلاثة أن النقد ـ مفهوماً ووظيفة ـ يصدران عن واقع وعن موقف ، وبالتالي فهما يتأثران أو يصاغان من خلال هذين البعدين . . موقع الكاتب ـ الناقد وموقفه .

تأسيسا على ذلك أسمح لنفسي أن أبدأ الحديث عن النقد بالوقوف عند وظائفه فوق الأدبية ـ كما دعتها الورقة ـ قبل الحديث عن وظائفه الأدبية .

أرى أن الوظائف ما فوق الأدبية للنقد هي جميعاً وظائف تعليمية ارشادية توجيهية ترسم الطريق ، وتقيم الصوى ، وتحدد المعالم ، ومن أهمها :

١ـ لقد تعودنا أن يبدأ الزمان من الماضي ، ويتجه نحو المستقبل ، في رأيي أن زمان النقد عكس ذلك يبدأ من المستقبل ، ويتجه نحو الماضي ، لأنه على المستوى الأول زمان استشراقي ، ولأنه على المستوى الثاني زمان حضوري ، بمعنى أنه يحضر الماضي ليراه بعين الحاضر ، ولا يرجع بالحاضر ليراه بعين الماضي .

٢ـ هذا التصور للزمان النقدى يجعله دائما دعوة للتطور والتغيير والتجاوز من ناحية ، ودعوة إلى رفض سطوة المادة ـ مهما تكن ـ بقراءتها وحوارها وإعادة انتاجها . أقصد بالمادة هنا ما وسُم بالقيمة ، وأقصد بالسطوة السيطرة المسبقة وشلّ فاعلية المتلقى ، وفى كلا الحالين يجعلنا النقد نرى ما يجب أن نرى ، أو أكثر مما يجب .

٣ـ يبدأ النقد انطلاقه وظيفياً بوعى ما تجسده حركة الواقع من معطيات ، ثم يشق طريقه في اتجاهين متداخلين وغير متعارضين الا لدى الثنويين ، أولهما نحو التراث والتاريخ لوصل آنات الزمان ببعضها أولاً ، ولربط الانسان الفرد بأمته ثانياً ، ولوضع المادة التى يتعامل معها ضمن سياقها التاريخى من السيرورة الى الصيرورة ثالثاً . وثانيهما نحو التاريخ والثقافة الانسانية والعالمية للانفتاح عليها ، والتلاقح معها ، والافادة مما يراه نافعا ومفيدا وضروريا لبناء الفرد والمجتمع .

٤ـ يركز النقد على القيم الخيرة والقيم الجمالية على السواء ، وهو فى الأمرين يدعو الى التمسك بأنبل مافى هذه الحياة من معايير ومثل ، ومن جملة ذلك التلازم بين التنظير والتطبيق ، فى مجال الرأى وفى مجال السلوك ، وفى دعوته هذه يجعلنا أبداً نطمح لصياغة أنموذج أفضل للحياة .

هذا فيما يتعلق بالوظائف فوق الأدبية . أما الوظائف الأدبية التى حصرتها الورقة بذكاء فى ثلاث فسأبدأ بالنص ، وهو عندى آصر الوظائف ، وأشدها قرباً من مهمته الأدبية أو دوره .

حددت وظيفة النقد إزاء النص فى ثمانى مهمات هى تثبيت هويته ، ونسبته الى صاحبه ، وشرحه أو تفسيره ، وموازنته بغيره من النصوص الأدبية القومية والعالمية ، والدفاع عنه ضد سوء استعماله ، وربطه بتراث أمته ، والحكم عليه وبيان منزلته والعناية بما هو موجود منه بالقوة حتى يصبح موجوداً بالفعل .

وبعض هذه الوظائف أو المهات يمكن أن ينضوى تحت عنوان تاريخ الأدب ، أو علاقات النص بخارجه ، كتثبيت الهوية والنسبة إلى الكاتب أو إلى البيئة شرط ألا نقتصر فى هذا كله على النص القديم والشعبى ، بل نمده إلى

الحديث أيضا . وبعضها الآخر كالموازنة يمكن ألا نكتفى فيها بالمقارنة ، وإنما نضيف إليها وظيفة تاسعة أساسية وهامة ، هى آراءه التطور سواء أكان هذا التطور بالنسبة إلى النص فى سياق الكاتب الواحد ، أو كان فى سياق التقاليد الأدبية لجنس النص أو نوعه . أما الدفاع عن النص ضد سوء استخدامه ، ومسألة حكم القيمة فأمران يترجح موقف النقاد أزاءهما إلى هذه الجهة أو تلك ، فبعضهم يقرأ النص قراءة اسقاطية ويوظفه فى علاقات لا تمت إلى أدبيته بصلة ، وبعضهم يرفض هذه القراءة أو الوظيفة بحجج فنية تنبع من بنية النص وطبيعة الأدب . ومثل ذلك حكم القيمة ، بعضهم . . يرى أن هذا الحكم هو نهاية المطاف فى تقويم النص والغايةُ منه ، ويمكن أن يأخذ أشكالاً عدة ، وبعضهم يرى أن حكم القيمة ليس ضربة لازب فقد يغنينا عنه التحليل النصى .

ما يهمنى من كل هذه الوظائف وظيفة الشرح والتفسير والتأويل ، على اختلاف فى دلالات هذه المصطلحات النقدية أو ترادفها ، وأعتقد أن هذه الوظيفة تقع اليوم فى صلب العملية النقدية ، وإذا ما عددنا المفردات متخالفة فانها تدل على التدرج التاريخى الذى تطور عبره النقد . لقد بدأ شرحاً ، ثم حاول أن يكون تفسيرا ، وانتهى الآن إلى أن يكون تحليلاً للبنية يعقبه تركيب لها أيضا ، ومن دون هذه العملية لا أعد النقد نقداً ، ولا الناقد ناقدا ، لانهما فى المحصلة الاخيرة تعامل مع النص ، وموقف إزاء شبكة علاقاته الداخلية ، وسبرُ لأدبيته ، وقراءة متعددة الأصوات لمستوياته المختلفة .

وظيفة النقد إزاء القارىء تحددها جملة أمور أولها أن الناقد وسيط بين النص والمتلقى ، وبصفته هو المتلقى الأول فانه بالتالى وسيط بين المتن ونفسه ووسيط بين المتن وغيره ، على المستوى الأول تكون الوساطة فى التحليل لتقويم النص ، وهذه العملية اجرائية الغاية منها علمية بحتة ، سواء أفاد منها القارىء العادى أو لم يفد ، وكثيرا ما تكون محصورة فى نطاق التخصص ، وعلى المستوى الثانى تأخذ الوساطة صوراً عدة منها أن يكون دليل القارىء فى رؤية النص وتفسيره وتلمس جوانبه القصية ، ومنها أن يكون مرشداً إلى ما يجب عليه أن يقرأه ، وتقوم بالصورتين معاً مؤسسات عدة ركزت الورقة خاصة على مؤسسة المراجعة

العلمية المتخصصة التى تفتقدها ساحتنا النقدية ، أما المؤسستان الأخريان فهما لسوء الحظ تعملان بشكل متعارض فيه الريبة أكثر من الثقة ، أولاهما مؤسسة الصحافة التى تعلق كل يوم على الكم الهائل المنشور من الأدب تعليقات تنتهى مع الجرائد ذاتها الى سلة المهملات ، ومعظم من يعلق لا علاقة له بالنقد الجاد إن لم يكن أبعد ما يكون عنه ، وأخراهما المؤسسة الجامعية التى تتأخر سنوات وسنوات ولا تواكب الحركة النقدية المتطورة لاعتقادها أن المعاصرة حجاب .

وفى رأيى أن الحل لهذا التعارض أو فقدان الثقة وما يخلفانهما من اشكالات على الساحة النقدية إنما يكون بايجاد فريق عمل ، له مجلاته المتخصصة ونقاده المتابعون وأطروحاته الجادة ، ويمكن لهذا الفريق وضمن ما ينشده ان يغطى العيب الذى يعتور سرعة التعليق الصحفى ، كما يغطى غياب مؤسسة المراجعة التى نفتقدها ، ويغطى ثالثة النقص الذى يطرأ عادة على عمل المؤسسة التعليمية فى حركتها البطيئة ، وربما يعمل أيضا وفى ظل المجتمع الاستهلاكى الذى أفسد الذوق على رفع مستواه وتوجيهه وإعادة اللحمة التى فقدت بين الكاتب والجمهور .

اننا اليوم وعلى امتداد الوطن العربى نشاهد جملة من فساد الحساسيات وتدنيها على شتى الصعد ولا سبيل إلى ايقافها أولاً واحلال ما هو صالح وسام محلها ثانيا الا بعمل هذا الفريق ، فالمؤسسات التعليمية والاعلامية منساقة هى الاخرى لهذا السبب أو ذاك وراء الاستهلاك أو وراء السياسة ، والنقد البناء وحده وعن طريق العمل الجماعى هو المؤهل فى الوقت الحاضر للقيام بإعادة نشر الوعى وبناء الانسان من الداخل والخارج فكرياً وأدبياً وفنياً وجمالياً .

يبقى أن نتحدث عن وظيفة النقد تجاه الكاتب ، وبرغم المودة المفقودة بينهما منذ القديم واتهام أحدهما للآخر أو تعاليه عليه فانا نستطيع أن نرتب أربع مهمات على هذه الوظيفة . . أولها اكتشاف الموهبة وتحديدها خاصة لدى الأديب الشاب و الاديب قيد الانجاز ، ومساعدته على معرفة ميوله وتلمس نوع استعداده ، وثانيها تسديد الخطأ وتطوير الانتاج وتحسينه ببيان ايجابياته وسلبياته ، وثالثها دعوة الكاتب الى ارتياد آفاق جديدة أو فتح مثل هذه الآفاق وحثه على ولوجها

والابداع فيها والخروج من أسر التقاليد والاجترار الى فضاء الابتكار . ورابعها محاولة أخلاقية يبذلها الناقد أكثر من الكاتب لتمتين الصلة به والحوار معه والتغلب على صعوبات العلاقة بينهما ، وأقول محاولة يبذلها الناقد لاعتقادى أنه المؤهل معرفياً والأبعد انفتاحاً والأكثر استجابة للحوار بسبب طبيعته التعددية الحاضنة لكل التجارب .

وربما تعمل هذه المهمات بعضُها أو كلُها على الاقل من الحديث عن أزمة فى النقد التى يثيرها المبدعون أو أزمة فى الابداع التى يثيرها النقاد ، واذا كانت الأزمات الحقيقية لا المفتعلة نابعةً فى الأصل من الوضع الاجتماعى بكل تعقيداته فقد يعمل المثقفون العضويون أدباء ونقاداً وفى نطاق المهمات الأربع لوظيفة النقد فى تحجيمها أو عدم تضخيمها .

لقد حُددت وظائف النقد من زمان بثلاث وظيفة التفسير ووظيفة التقويم ووظيفتة التوجيه وأرى أن التصنيف الذى وضعته ورقة العمل ببحثها القضية من خلال الموقع المعرفى الذى ييسره العصر أو ما أسمى بالمدخل الآنى أولاً ثم بتقسيم هذه الوظائف الى أدبية وما فوق أدبية ـ شرط ألا نفصل بينهما الا من الناحية الاجرائية ـ ثانياً ، وتوزيع الوظائف الأولى على عناصرها الثلاثة النص والقارىء والكاتب ، وبحث مهمات كل عنصر على حدة ثالثاً . . أرى ذلك كله عملاً جاداً يتسم بالدقة والعلمية .

وربما توضحت جوانب كثيرة من هذه العناصر وأبعادها عبر حواراتنا المرتقبة التى تثيرها الورقة مثلما تثيرها جملة الآراء ووجهات النظر حول الورقة .

عبدالله أبو هيف :

أود أولاً أن أشكر د . اصطيف على ورقته الثمينة التي حددت وظائف النقد بصورة جيدة ، ولكنها في الوقت نفسه آثرت أن تبتعد عن الكثير من الاشكاليات ، أي أنها لم تتعرض في الحقيقة لاشكاليات وظيفة النقد ، في واقع النقد العربي أو فيما آلت إليه هذه الوظيفة في النقد المعاصر ، لذلك أرجو أن يسمح لي مدير الندوة .

سعيد السريحي ومعد الورقة بأن ألقي بعض الاسئلة حول هذه الاشكاليات ، التي تثيرها وظيفة النقد ، أول هـذه الاسئلة التي تتعرض للإشكاليات الناجمة عن وظيفة النقد ، هي وظيفة النقد إزاء وعي نفسي ، ما علاقة وظيفة النقد بالنظرية الادبية ، وما اتصال النقد بعمليـات النقد الاجتماعي والسياسي العامة ، أو ماسماه د / عرسان بقضية الحرية ، حرية الابداع وحرية المجتمع المبدع ، ماهي علاقة النقد بالاهداف السياسية ؟

لقد جير في أحدث النظريات النقدية ، جير النقد ووظيفته إلى خدمة الاهداف السياسية مثلا ، فما علاقة النقد في نظريته بالاهداف السياسية ؟ هل يكون خادماً لها شارحاً لها ومجيراً لوظيفتها ، أم أن لوظيفة النقد كما أشارت الورقة أهدافاً اكتفت بتحديدها على النحو الذي اكتفت به .

السؤال الثاني يتعلق بوظيفة النقد ازاء تطوير واقعه ، نحن نعرف أن النقد العربي الحديث يعاني من مشكلات كثيرة ، ولاسيما مايتعلق منها بوظيفته ، وقد أشار د / علي ود / نعيم إلى بعض هذه المشكلات الناجمة عن واقع النقد العربي الحديث ، ومن هذه المشكلات مشكلة القبلية ، فالقبلية التي تأخذ شكل التحزب أو الانتماء أو الشللية أو أن يكون الناقد عضواً في جماعة أو ينتمي إلى جماعة لاهم له الا أن يروج أدب هذه الجماعة ، ولايعنيه من هو خارج الجماعة ، ومثل هذا الامر موجود باتساع في الحياة الثقافية العربية ، وأعتقد أن ما أضر النقد العربي الحديث هو شيوع امراض القبلية النقدية فيه بأشكال متعددة وكثيرة جداً .

السؤال الثالث : وظيفة النقد ازاء الهوية القومية ، الادب العربي الحديث كما تشير الان كثير من الدراسات ، وثمة اتفاق حول هذه المسألة ، نشأ الادب العربي الحديث ومثله النقد في اطار الاستعمار وعلاقات التبعية بالغرب ، وبالتالي ماتزال مشكلة العلاقة بالاخر أو الغرب تلقي بظلالها الكثيفة على الفكر والادب وعلى الحياة العربية برمتها ، هذه الاشكالية لم تشر اليها الورقة ، وطبعا هي لم تعرض إلى هذه الاشكالية في واقع النقد العربي الحديث ، ولكن مثل هذه الوظيفة ، وظيفة النقد ازاء الهوية القومية هي وظيفة هامة جداً وتلقي أعباء

ثقيلة على الناقد وعلى النقاد العرب بشكل عام ازاء مشكلة المركز ـ الغرب ـ والهامش ـ العرب ـ هذه القضية نلمسها باتساع في أهم النصوص النقدية العربية الحديثة ، وندرسها أيضاً لدى أهم النقاد العرب ، النظرية النقدية العربية الحديثة لم تتكون حتى الان ، واذا كانت تتكون وأعتقد ذلك ، فهي متأثرة تأثراً غالباً بالنظرية الادبية الغربية ، ولايوجد الان نص أدبي نقدي معتبر لاتكثر فيه الاسماء الغربية والمناهج الغربية والمرجعيات الغربية ، وهناك الان شكوى واسعة جداً من أن المرجعية التراثية أو المرجعية الذاتية او التقاليد الثقافية والنقدية العربية تبدو بعيدة عن اجراء وعن تفكير النقاد العرب .

سؤال يتعلق أيضاً بوظيفة النقد ازاء انتشار الادب وازاء انتشار العلوم ، واسهام النقد في تكوين جماليات الأدب العربي الحديث ، وهذه الأسئلة تتعلق بالرواج ، وتتعلق بأهم القيم الادبية السائدة وبشكل التفكير الادبي السائد ، ومادمنا نتحدث عن الانتشار فالاهم هو علاقة الادب بالثقافة وبوسائل الاتصال بالجماهير والاعلام على وجه الخصوص ، ويبدو الان الادب ومثله النقد يتيماً على مائدة لايدعى اليها مطلقاً ، وهي مائدة الاعلام ، ولاسيما التلفزة والصحافة وغير ذلك من أسباب الاتصال بالجماهير وهي التي تصل إلى الناس ولايصل اليها الادب الا عن طريق وسائل الاعلام ، للنقد وظيفة ازاء هذه المهمة الخطيرة ، مهمة الانتشار ، وقد ينتج عن هذا تصحيح الادوار وتنتج أهداف اخرى جرى الحديث عليها في حديث الزملاء .

السؤال التالي يتعلق بوظيفة النقد ووظيفة الدراسة نلمس في الورقة عدم التصريح بوظيفة النقد ووظيفة الدراسة الادبية ، بمعنى أن مستويات وظيفة النقد لم يجر الحديث حولها ، مثلا : النقد يتصف بأنه مزاجي غالباً ، يتصف بأن معياريته خاصة نابعة من معيارية الناقد نفسه ، يتصف بأنه قد لايستخدم أدوات الدراسة العلمية ، فتتصف بأنه شخصي أما الدراسة فتصف بأنها موضوعية ، تتصف بأنها علمية ، تتصف بأنها صارمة ، تتصف بأن معياريتها عامة ، وقد تستخدم الدارسة أدوات النقد ، بعكس النقد الذي لايستخدم أدوات

الدراسة ، هذه المستويات للنقد وأشكال تجليه تتحقق على يد النقاد والدارسين باعتبار أنه مفيد التحدث عنها في أسئلة وظيفة النقد .

من وظائف النقد أيضاً علاقته بالقراءة ، النقد الادبي الحديث الان لم يعد يعترف بالعلاقات التى جرى ذكرها الان كثيراً ، مثل أن تكون علاقة الناقد بالاديب علاقة صداقة ، الناقد الآن ليس عضواً في جماعة أدبية والناقد في تقديري لايصلح أن يكون عضواً في جماعة ، علاقة الناقد بالاديب في تقديري كما تؤكد النظريات النقدية الادبية الحديثة غير مشروطة التحقق ، لان علاقة الناقد مشروطة بالنص أساساً ، وفي هذا المعنى يتصل الحديث كثيراً في موضوع القراءة ، الان كل النظريات الادبية النقدية الحديثة بعد البنيوية والتفكيكية ومستويات القراءة والاسلوبية والنقد العربي الحديث الان يعيد انتاجها ويتجلى من خلالها ، هذه النظريات ممارسوها ، لايسمون أنفسهم بالنقاد، الناقد يسمى نفسه محللاً مثلاً ، لذلك القراءة الان تحد شكل الكتابة ومحتوى الكتابة ، وأنا أتفق مع زملائي ، لكن لا أصل في النتيجة معهم إلى أن الناقد قارىء لقارىء ، ولكن القارىء عندما يقبل على القراءة ، ليس شرطاً أن يكون يحسن قراءة الناقد أيضاً . لأنه هو يقرأ ويعيد انتاج النص خلال قراءته بنفسه ، لذلك يعول كثيراً على التربية الثقافية ، ومنها تربية القارىء على اجراءات النقد واجراءات التفكير في مجالات الادب حتى يستطيع التواصل مع النصوص الادبية ، أذكر كلمة لصلاح عبدالصبور فى تقديم احدى دواوينه يقول : أرجو منك أيها القارىء العزيز ألا تأخذ شعري بسهولة فإن كتابته لم تكن سهلة وهذا يقودنا إلى أهمية القراءة في اعادة انتاج النص ، وهذه المسألة الان تفرض نفسها على وظائف النقد كبيراً ، وتفرض على النقد والناقد مسئوليات تجاه القراء وازاء تطوير سويتهم النقدية والقرائية كحل لأن كل القراء إنما يفهمون من النصوص ومن الأدب ومستوى ثقافتهم ومرجعتهم الثقافية والتاريخية ، وكثيراً مايقال إن الناقد او مراجع الكتب هو الذي يحدد مستوى انتشار الكتاب ورواجه ، وهذا شائع في المجتمعات الحديثة ، ولكن حتى الذي يقرأ للناقد ويتناول كتاباً ويقرأه بعد ذلك لا يأخذ برأي الناقد ، وإنما يعيد انتاج النص بنفسه وبمستوياته الخاصة .

سؤال آخر متعلق بالسؤال السابق وهو حول علاقة الاديب بالناقد وقد تردّد كثيراً في الورقة وفي أحاديث الزميلين الجليلين والنقد الحديث الآن لايعترف بقصد الكاتب إطلاقاً ، وهذه مسألة ثابتة حسمت منذ زمن طويل في النقد العربي القديم ، مثلا : حسان بن ثابت ، قيل إنه شاعر كبير وعظيم ولكن الاسلام أضعف شعره وهناك مقولة مأثورة في النقد العربي القديم أيضاً ، أن الشعر والادب اذا دخل باب الخير ضعف ولان ، ولذلك هذه القاعدة القديمة جعلت للادب فاعلية انسانية معزولة تماماً عن الاخلاق وعن القيم وعن كل الفعاليات الاخرى ، وينبغي لاي ناقد أن ينظر اليها من هذه الاستقلالية وضمن استقلاليته أيضاً ، وضمن اعتماده على أدوات النقد فما علاقتنا الآن كنقاد بقصد الكاتب . أعتقد أنه لا أهمية لقصد الكاتب المهم قصد النص قد يكون له اهمية في اضاءة بسيطة ، في هذا المجال وظيفة النقد هي تأكيد استقلالية النقد في معالجة المغالطات ، وهناك الان مغالطات بدون قصد بسبب تخلي النقد عن استقلالية .

سؤال آخر حول علاقة النقد بالتقويم ، الادب بطبيعته مخادع لايعطي نفسه بسهولة ، واذا اعطى نفسه بسهولة فهو أدب سطحي ويوصف بالتفاهة ، لأنه يتحول إلى كلام غير جدير بالاهتمام ومشكلة القيمة واردة ، لأن القيمة غير محددة ، وأيضاً يختلف القراء والجماعات في تحديد تلك القيم وفي تصنيف مجموعات القيم ، وفي مدى تحقق القيم على هذا النحو أو ذاك ، ونحن نختلف كثيراً في اشكال ظهور القيم عندما ندرسها ، والمشكلة الادهي والامر هو ان القيم اذا بوشر بها وصرح بها تفقد قيمتها ويصبح النص خفيف القيمة تافه الفعالية ، في اطار هذا الامر ، الادب معروف أنه يكتب لذاته ، أما النقد فهو لايكتب لذاته ، هناك حديث كبير حول النقد كفعالية تابعة أو مستقلة ، ولكن النقد لها يسير بحكم تحكيمه لممارسته لوظائفه فهو الآن يسير نحو استقلاليته ، ويجب أن يؤكد على هذه الناحية باستمرار ، والا أصبح فهمنا تابعاً وعلى هامش العملية الادبية ، وليس النقد كذلك ، وفي هذا المجال من المفيد أن نذكر أن النظرية الادبية في أساسها هي نظرية نقدية ، ويجب أن نذكر أن النقد هو الذي

يتوج الادب بالدرجة الاولى وليس الادباء ، وتاريخ الادب يشير إلى ذلك ، وأن محاولات الادب نحو تنظيره وتقعيده قامت على أيدي النقاد وعلى مر العصور وهم الذين يطورونه ويسهم الأدباء في تطوير عملية النقد ، ولكن النقاد أساساً هم الذين يكونون النظريات الادبية ، لأن النظريات الادبية في أساسها نظريات نقدية ، واذا نظرنا الان في كل نظرية أدبية ، نجد أن عناصرها هي أسئلة النقد الأولى إزاء الأدب .

سؤال أيضا : إذا جرى الحديث عن العقدين الأخيرين سواء في النقد العالمي أو النقد العربي ، جرى الحديث كثيراً حول اجتماعية النقد ووظيفة النقد الاجتماعية والاخلاقية ، وهي التي أشار اليها د / اصطيف ، وعلق عليها د / نعيم فيما سمي بالوظائف فوق الأدبية هل النقد مؤسسة اجتماعية ؟ هل يقوم بمثل هذا الدور الاجتماعي والاخلاقي ، هذا يدخل في اطار التطلع والتمني والرجاء ، وأعتقد أن من وظائف الادب والنقد أن يقوم بمثل هذا التطلع والرجاء ليجعل التفكير الادبي برمته أكثر تحققا وأكثر حملاً لمسئوليته الاخلاقية ، والاجتماعية ، وينبغي أن يشار باستمرار إلى مثل هذه الوظائف ، وأن تحدد وظيفة النقد تجاه القيم الرفيعة والسامية وازاء الهوية الانسانية والضمير القومي الذي لايجري الحديث عنه الا نادراً ، وازاء المخاطر التي تهدد الجماعة الانسانية وفي مجتمعاتنا الان مخاطر كثيرة تهدد جماعتنا الانسانية والقومية مثل الارهاب والتعصب والتطرف والعدوان والقتل والاحتلال ، وهذه المهام والمواجهات ينبغي أن يركز عليها النقد في وظائفه كثيراً ، وأن يبحث عنها في النصوص وأن يشيد بها وأن يعززها باستمرار ، أرجو أن تكون هذه الملاحظات كافية وشكراً .

قاسم المقداد :

سأبدأ من حيث انتهى د / عبدالله أبو هيف ، لأنني للحظةٍ خلتُ وكأنني أخطأت قراءة عنوان الورقة التي قدمها د / اصطيف ، تخيلت أننا بازاء بحث أزمة النقد ، لان ما قيل دار كثيراً حول هذا الموضوع ، النقطة الثانية : عنوان « النقد » كان فضفاضاً . . فأي نقد ، هل هو نقد الفكر العربي ؟ هل هو نقد الثقافة العربية ؟ أم هو نقد الادب ، وحينما توغلت في الورقة وجدت أن المقصود هو النقد الادبي ، ولحسن الحظ ، يبدو أنني قرأت الورقة بشكل جيد ، كثفت التكثيف الذي تفضل به د / اصطيف مرة اخرى ، هذا التكثيف الشامل على الرغم من اهميته ، إلا أنه برأيي يشكل احدى المشاكل التي يعاني منها النقد الان ، وهي عدم التجديد ، لاننا دخلنا في اكثر من مجال ، في علم الاجتماع وفي التاريخ وفي الابستمولوجيا إلى آخره . . . .

أول ملاحظة لا أتفق فيها مع د / اصطيف هي في ترتيب النقاط ، فقد أشار د / أبو هيف إلى النقطة الاساسية وهي النص ، لانني لا أقرأ نجيب محفوظ ، أو فلانا أوفلانا ، بل أنا أتعرض أولاً إلى النص إلى المنتوج الموجود بين يدي ، ثانياً : نتطلع إلى المستهلك وأنا مستهلك كغيري من المستهلكين ، بالمعنى الجيد للعبارة ، وأخيراً اذا بقى لي شيء من الوقت انظر إلى الكاتب ، وهذه نقطة أخيرة في رأيي وهامة ، كل نقطة من هذه النقاط هامة وينبغي أن ينظر اليها بعين الاعتبار ، لكن كيف نرتب الاولويات بالنسبة للنقد اذا أردنا أن يكون هناك نقد واضح ، بالنسبة لمنتج النص اولا ، المبدع او الكاتب ، وأخيراً القارىء ، كيف ننظر إلى النص ؟ لا أعتقد أن القارىء والناقد قارىء بطبيعة الامر وان اختلفت مستويات القراءة ، كل قارىء ناقد ، فاذا دخلنا اولا في النص ، ما الذي يشدني اولاً في هذا النص ، هل لانه مكتوب من قبل نجيب محفوظ ، هل لانه مكتوب من قبل س ، ع من الناس ، هل لانه يتحدث عن قضية مركزية كقضية فلسطين ، أنا أضع المتعة واللذة الشخصية قبل كل شيء ، وبعد أن اروي هذه المتعة انتقل إلى جوانب اخرى لاتنفصل على الاطلاق عن هذه المتعة ، فمتعة تحرير الارض لذة لاتقل عن متعة ارواء العطش بالنسبة لتائه في

الصحراء ، ماهي مصادر هذه المتعة ؟ هل لان الكاتب انيق أم لانه كبير ؟ طبعاً لا ، قد أقع على نص اغفل اسم الكاتب واستمتع بقراءة هذا النص ثم أسأل اذا كنت فضولياً عن كتابه . د . اصطيف يقول هناك مدخلان المدخل التطوري التاريخي ، والمدخل الاني او التزامني المدخل التطوري يشكل جزءاً من العملية النقدية لكنه لايقدم الفائدة المرجوة من أي عمل أو أي ابداع ، أنا أرى أن المدخل التطوري يندرج تحت الاطار الذي سماه د / اليافي الدراسة التاريخية للنص الادبي ، كيف أكون ناقداً أدبياً وأدرس التطور التاريخي ، ينبغي مثلاً أن أقوم بدراسة المراحل المختلفة التي كتب فيها أحد الكتاب كتاباته ، مثلا نجيب محفوظ على مر اربعين سنة ، هذا جانب من جوانب النقد ، وأعتقد أنه يحتاج ورقة عمل منفصلة ، كما يستحق النقد التزامني إذا جاز التعبير ورقة عمل أخرى .

أعود إلى قضية الناقد والكاتب ، لأقول اذا كان هناك عداء فإن هذا العداء مصدره عدم فهم العملية النقدية او الممارسة النقدية بين كاتب النص والناقد ، وكلمة الصداقة والحميمة التي اوردها د / علي ، لا اعتقد أنها موجهة للكاتب ، هي موجهة للنص ، هي تحاول أن تواجه النص ، فاذا رفض ، فهو صاحب الحق أن يقبل وأن يرفض ، أوضح : كيف يرفضني النص ؟

يرفضني إذا أتيت بموقف مسبق ، موقف ايدلوجي معين ، أما اذا تحليت بشيء من الموضوعية وهذا أمر صعب إذ لابد للذاتية أن تلعب دورها حتى على صعيد اقرب الناس منك ، لذا فمصادقة النص من خلال التفاعل العضوي ، فالنص ليس مجرد كم من المفردات ، وهذا هو لب العملية البنيوية ، اللغة العربية تتكون من ٢٩ حرفاً ، فأين مكمن الابداع ، لماذا يختلف عبدالله أبو هيف عن علي عقلة عرسان ؟ وينبغي على الناقد أن يرى تراكب الكلمات وكيف تتراكب الجمل في جمل اطول وكيف تتراكب النصوص إلى آخره ، هناك عبارة لـ د / اصطيف في الورقة تقول إن الناقد يرى أكثر من الاديب ، يرى من خلال كونه ناقداً ولايرى لكونه مبدعاً ، الاديب يمكن أن يرد الصاع صاعين ويقول

لا ، أنا الذي كتبته وبالتالي أنا أراه اكثر منك ، إذاً كيف تتم المصالحة ، تتم بأن يرى الناقد واذا تمكن أن يستعير عين الكاتب ، اذن ينبغي أن يكون بين الناقد والكاتب اتفاق ولكن ليس على حساب العمل الابداعيٍ ومن خلال هذه المصالحة يمكن أن يتوضح للكاتب أشياء لم يكن يقصدها فعلا ، كما هو معروف في علم النفس بالزلات اللسانية ، ويمكن أن نسميه هنا بالزلات الكتابية ، هنا يمكن للنقد الا يكون تابعاً للادب بل قرينا ، ولانه لايمكن حينما يولد النص لدى اول حرف من كتابته أن يولد الناقد وإلى أن يتكون الناقد الذي نتحدث عنه اليوم ، يكون الإبداع قد خطا خطوات بعيدة ، ومن هنا يخيل للبعض أن النقد متأخر عن الابداع .

هناك بعض النقاط السريعة ، مقولة ارشاد القارىء إلى مواطن الابداع ، قد يكون في هذا شيء ممكن ، مقولة وظيفة اساسية ووظيفة غير اساسية للنقد ، أنا أزعم أن للنقد وظيفة واحدة أساسية ، واذا كان هناك وظائف اخرى فينبغي أن نطلق عليها تسميات اخرى ، النقد الجاد والموضوعي هو ذلك النقد الذي تحدثت عنه ، أما القيم الخيرة والجمالية فأرى أن كل نقطة من هذه النقاط تستحق وقفة طويلة ، وهذه هي الامور الذي تفضل مدير الندوة ومعد الورقة بأن يجمعونا حولها وشكراً .

سمر الفيصل :

شكراً للسيد مدير الندوة ، وأني أحمد الله على أمور كثيرة ، منها بالنسبة لهذه الندوة اربعة امور ، اولها أنني اخر المتحدثين ، هذا يعني أن زملائي السابقين ذكروا عدداً غير قليل من النقاط التي كنت اود الاشارة اليها ، ومن ثم فإنني لن اكرر ما ذكروه ، الا اذا كانت هناك حاجة ما أو رأي لي في هذه النقطة أو تلك ، وثانيها أن الورقة لم تميز بين وظيفة ووظيفة النقد ، وبالتالي تركت الامر مفتوحاً بالنسبة الينا نتحدث عن هذا الجانب مرة وعن ذاك مرة اخرى ، وثالثها ان الورقة لم تميز بين وظيفة النقد بشكل عام وبين وظيفة النقد العربي بشكل خاص ، وهذا أمر أظن أن الحديث يختلف في هذه النقط أو تلك ، اذا كان الحديث عن النقد العربي بشكل خاص ، ورابعها : أن الورقة لم تحدد لنا أين

تبدأ وظيفة النقد وأين تنتهي ، وما حدود هذه الوظيفة ، وإنما تركت لنا الباب مفتوحاً لنقدم رأياً وان كان موجزاً .

أبدأ بالقول بأن النقد أساساً لايتوجه إلى الكاتب وانما يتوجه إلى القارىء ، والكاتب بعد نشر نصه يصبح قارئا من هؤلاء القراء ، ومن ثم لا مجال للجدل حول هذه النقطة التي تتعلق بالكاتب وخلافه مع الناقد ، وإن كانت لها حساسية معينة بالنسبة لنا في المجتمع العربي ، ولابد أن أشير أنني لا أعترض على وظيفة المرشد وحسب ، وانما اقول انها غير ذات معنى ، لان الناقد الحديث لايضع الناقد بحيث يتطلب منه حكم قيمة ، وإنما يضع الناقد موقع الواصف ، فعمله عمل وصفي ، وان كان يحكم حكم قيمة ، فإن حكم القيمة ينبع من النص نفسه لا من الامور التي تعد خارج النص ، وربما كانت المناهج الحديثة في ابرز ماقدمته أنها قدمت مايمكن أن يدعى بالمناهج الموضوعية الوصفية ، ولابد أن أشير إلى أن الفجوة بين الادباء والنقاد تلك التي يتحدثون عنها كثيراً لها أسباب موضوعية بالنسبة الينا ، منها في رأيي أن النقاد عندنا لم يكتسبوا بعد مشروعيتهم ، لوقوفهم غالباً هذا الموقف الذي أصبح موقفاً مستهجنا ، وهو موقف المعلم ، ثانيها أن أغلب النقاد عندنا انطباعيون ، لم يتسلحوا بعد بنظرية أدبية ونقدية واضحة عندما يمارسون عملهم ، وثالثها أن هذا الموقف هو موقف تاريخي في رأيي ، لا ينبع من الحاضر وطبيعة المجتمع العربي الحديث ، وانما هو تاريخي ، فقد اعتدنا في كتب التراث أن نرى علاقة غير حميدة بين الناقد والاديب أما بالنسبة إلى القارىء ، فأرى أن قلة القراء عندنا وعدد النسخ المطبوعة من كل كتاب يرشدنا إلى ذلك ، أن عدد القراء عندنا قليل ، ولكن ليس هذا موطن القصيد إني أزعم أننا نجهل قارئنا ، وأقصد قارئنا بالمعنى العلمي الدقيق ، هل نعرف رغبات القارىء وطبيعته ، على أي شيء يقبل ، ومن أي شيء ينفر ، إضافة إلى اننا عند تصحيح أذواق القراء ، علينا أن نلتفت إلى أن الناقد ليس وحده المؤهل للحفاظ على القيم السامية ، وليس الادب وحده مؤهلاً للحفاظ على هذه القيم السامية ، وأخيراً أشير إلى أنني عندما أتحدث عن القارىء أتذكر أننا أهملناه طويلاً ، وأن هناك اتجاهاً جديداً يدعى بجماليات التلقى او جماليات

المتلقى ، وهذا الاتجاه الذي كان النقاد الالمان رواداً فيه ، بدأ يعرف نسبياً في المغرب العربي ، ومن ثم يخيل إلى أن هذا الامر يحتاج إلى دراسة خاصة ، وخصوصاً مانراه لدى النقاد الشكليين من محاولة ادخال القارىء في شعرية النص ، أي أنه يصبح عنصر فاعلاً بدلاً من أن يكون عنصراً متلقياً منفعلاً فحسب ، هذه القضية أود لو نعود اليها إن كان هناك وقت ، فقد أصدرت مجلة الدراسات السيميائية الادبية اللسانية في المغرب عدداً خاصاً عن جماليات التلقي يبدو أنه مفيد بالنسبة الينا حتى نغير وجهات نظرنا بالنسبة إلى القارىء المتلقي اعتقد أنني لا أختلف مع الزملاء في أن العمل الاساسي الذي اعتدنا بالنسبة إلى الناقد وبالنسبة إلى وظيفة النقد ، هو الوظيفة المتعلقة بالنص ، ولكنني أرى أن وظيفة النقد وبالنسبة لتحديد هوية النص ليست مشكلة أساسية ولاكبيرة في العصر الحديث ، قد تكون مشكلة بالنسبة إلى الادب العربي القديم ، ولكنها الان انتقلت من أيدي نقاد الادب إلى أيدي المحققين ، وأضرب على ذلك مثلاً : جلال الدين السيوطي الذي كتب نحو سبعمائة مؤلف ، استطاع بعض المحققين أن يرى أن رسالته في الصبيان منسخوة بنصها من كتاب احياء علوم الدين لابي حامد الغزالي ، وقد لاحظت . . مرة عندما كنت احقق في بعض نصوص السيوطي ، أن رسالته المسماه بغلطات العوام ماهي إلا تقويم اللسان لابن الجوزي ، لكن هذه ليست مهمتي ، إنها مهمة المحققين ، قد تكون هناك ثغرة ما تتعلق بالشعر الذي لم ينسب إلى صاحبه ، أو الشعر الذي نسب إلى عدد من الشعراء في وقت واحد ، وقد تتعلق المشكلة أحياناً ببعض نماذج الشعر الحديث التي نسبت إلى هذا أو ذاك من الشعراء ، لكنها تبقى في رأيي مشكلة هامشية وليست أساسية بالنسبة إلى الناقد الادبي ، أما وظيفته الاساسية فسأذكر منها وظيفتين وأضيف اليها بعد ذلك اربع وظائف اخرى ، الوظيفة الاولى هي التحليل ، هذه هي ارقى الوظائف في رأيي ولا أختلف مع زملائي فيها ، ولكنني أردت أن أؤ كدها وأن اقول انها الوظيفة الاساسية لتكوين النقد ، وبعضهم يخالفني في أن نستعمل كلمة النقد ، ويقول لنا انكم على سبيل المثال تتحدثون عن الادب العربي الحديث ، وتزعمون أنه الادب العربي الحديث ،

بينما يزعم هو أن النقد لم يستطع معرفة هذا الادب لانه لم يدرس الادب في الاقطار العربية قطراً قطراً حتى يكوّن الادب بشكله القومي ومن ثم أن ادعاءنا يمكن ان يؤخذ بالاعم الاغلب ، ولايؤخذ بالمعنى العلمي الدقيق ، ويمكننا أن نذكر أشياء أخرى يمكن للتحليل أن يقدمها لنا . الامر الثاني الذي أردت أن اشير إليه ، هو أن هناك مايسمى بمهارات التحليل ، هذه المهارات مكتسبة ولكن من يكتشفها ؟ يكتشفها نقادنا الذين لم يتفرغوا أساساً لعملية النقد ، ويكتسبها غير قليل منهم بجهده الشخصي ولاتقوم المؤسسات التي ذكرتها الورقة بأي عمل في هذا المجال ، بالنسبة لهذه النقطة أود أن أقول ان مهارات التحليل ليست محدودة وإنما هي تتعدد بحسب ماتطرحه النصوص الادبية ، وأضرب على ذلك مثلاً أن هناك نصوصاً أدبية تطرح علينا أموراً نرى أنها ناقصة منها على سبيل المثال البنية الزمانية والمكانية في النصوص الروائية ، نحن لانعرف هذا الامر حتى الان .

والدراسات الحديثة بدأت تضع أسساً واجتهادات حول هذه الأمور .

وأخيراً أضيف أربع نقاط :

أولها : أنني أتمنى أن تضاف إلى وظيفة النقد تلك الوظيفة المساعدة على تكوين نظرية نقدية عربية ، وثانيها أنني أتمنى أن تساعد وظيفة النقد على جعل هذا النقد فعالية مستقلة اضافة إلى كونه فعالية تابعة ، وثالثها : أن وظيفة النقد في رأيي يجب أن تتجه دائماً إلى الامور الثلاثة التي ذكر د / طه حسين واحدة منها وهي الامتاع ، وأضيف اثنين هما : الاقناع والتفسير ، والنقطة الرابعة : هي وظيفة النقد في تحديد الجديد في النص الادبي قياساً إلى جنسه الادبي ، وشكراً . . . .

عبدرب النبي اصطيف :

أنا سعيد لان هذه الورقة المتواضعة أثارت كل هذه الافكار ، مندور رحمه الله الذى لا نجد نظيراً له في تاريخ نقدنا العربي قال: لا بد لكل تفكير من مثير ، وأظن أن ورقة العمل غايتها الاساسية هي أن تثير التفكير في القضية

المطروحة ، أمر أريد أن أذكر به الاخوة وقد أشاروا اليه جميعا ، هو أن المتلقي اليوم عنصر مهم جدا في العملية الادبية ، وأنا أقول أنه ايضا مهم في العملية النقدية ، وهذه الورقة التي كتبت على نحو برقي ، كتب للاخوة الـذين قرأوها ، وبسبب معرفتي بعمق اطلاعهم على الكثير من المسائل ، فقد أوجزت غاية الايجاز ، والمحت الماحا الى ما أردته ، والكثير مما أثير في هذه الامسية ، الحقيقة تم التعرض اليه ، لكن بايجاز تقتضيه طبيعة الورقة ، والحقيقة أنني في آخر حديث مع الدكتور السريحي ، أشرت اليه الى أنني لخصت ما يقرب من ٥٠ الى ٧٠ صفحة في هذه الوريقات العشر ، حتى لا أثقل على الزملاء والجمهور ، على أي حال عندما أشرت الى دور الهادي المرشد الذي يقوم به الناقد ازاء الاديب ، فقد استعنت هنا برأي أديب هو نعمية ، وأنا أذكره ولو أنه فى مطلع هذا القرن ، لانه رأى أهمية هذه الوظيفة ، ولم ير فيها نوعا من الاستاذية أو نوعا من الفوقية ، بالطبع هناك مسألة نكاد ننساها ، وهي أن مناخ ممارسة النقد في مجتمعنا العربي مناخ غير معاف ، مناخ غير سليم ، والكثير ممن يمارسون النقد ليس لديهم الارضية الكافية التي ينبغي أن ينطلقوا منها ، حتى أنهم في أحيانا كثيرة لا يقرأون النصوص ، وأنا عندما تبنيت هذا المدخل الآني في النظر الى وظائف النقد المختلفة ، نظرت الى النقد ليس من منظور عربي ، وانما منظور معرفي معاصر ، أي كما يمارس ليس فقط في الثقافة العربية ، وانما في الثقافات الاخرى ، ولقد تيسر لي أن أطلع على الممارسات النقدية في الثقافات الاخرى ، وحاولت أن أنطلق في تصوري عن وظيفة النقد ، ليس فقط من المنظور العالمي الاني ، وانما من المنظور العالمي الذي يتسع ايضا لرؤية الثقافات الاخرى ، وبالتالي هذا الثقافات التي تعلن عن موت المؤلف ، لذلك لا تعني كثيرا بالحديث عن الصداقة التي ينبغي أن تقوم ما بين الناقد والاديب ، المؤلف كتب وانتهى ونحن نتعامل مع نص ، وهبني أقرأ نصاً حديثا ، فانا طبعا سوف أتماس مع صاحبه ولكن ماذا عندما أقرأ نصفا لـ لبيد أو لعنترة ، فماذا تعنيه صداقتي ؟ وماذا تعنيه مشاعري الشخصية ؟ لذلك المسألة رغم توتر العلاقة القائمة ما بين

الكاتب والناقد ، لا أعتقد أنها يمكن أن تنسحب على كل الممارسات النقدية في المشهد العالمي .

المسألة الثانية : هي أن الورقة أشارت الى الكثير من القيم وأكدت عليها ، وبالطبع عندما ذكرت هذه القيم ، لم تذكر على أنها شيء عابر ، وانما ركزت على قيمة مهمة جدا وأساسية ، وهي قيمة البحث عن هامش للافضل في كل شيء ، وأعتقد أن هذا الهامش مسألة مهمة جدا في الحياة الانسانية ، ليس فقط في ميدان الادب .

ونأتي الى مسألة التراتبية التي قدمت بها أفكار الورقة ، أنا عندما بدأت بالكاتب وانتهيت بالنص ليس معنى ذلك أنني أذكر المهم فالاقل اهمية ، ربما كان رأيي العكس ، إنني انطلقت من الأقل أهمية وهو المبدع ثم انطلقت إلى القارىء وهو الأكثر أهمية وذكرت فيما ذكرت عند الحديث عن وظيفة النص ما يلي : مهما كان الامر فان ما تقدم من وظائف للنقد تجاه الناقد والقارىء ليست في حقيقة الامر الا من لوازم وظيفته المباشرة والاساسية وهي مقاربته للنص الادبي الذي هو الساحة الفعلية لمجمل الافعال والنشاطات في العملية النقدية ، كالشرح والتحليل والتركيب والتفسير والموازنة والمقارنة ، لذلك أنا مع الاخوة في أن الوظيفة الاساسية ينبغي أن تنصرف الى النص ، وطبعا ما النص الادبي ؟ النص الادبي اساسا هو بنية لغوية ، لذلك عمل الناقد في كل ما يقوم به من شرح أو تحليل أو تفسير سوف ينصرف اساسا الى تحليل البنية اللغوية ، ولا أجد أي مكان آخر للبحث سوى النص وهو الحقيقة الاهم الموجودة امامي ، لذلك أنا لا يمكن أن أنشغل بأي شيء آخر الا النص ، والنص أساسا هو الذي يملي قواعد درس هذه القاعدة الاساسية التي نعلمها لطلابنا والتي نرددها وهي أن النص يملي قواعد درسه ، وبالتالي انطلاقنا من النصوص ، والنصور متجسدة أمامنا من خلال اللغة ، وعملنا الاساسي ينبغي أن ينصرف الى آليات عمل اللغة في انتاج المعاني والدلالات .

ثم نأتي الى قضية متصلة بهذا الامر ، وهي مسألة هل النقد فعالية تابعة أم فعالية مستقلة ؟ يبدو لي أن النقد فعالية مستقلة وليست تابعة ، بمعنى أن الادب

من الناحية الزمنية قد ظهر أولا ، ولكن التفكير في انتاج الادب سابق على انتاجه ، والنقد يمكن أن يمارس من قبل الاديب الذي ينتج الادب ، كما يمكن أن يمارس من الناقد الذي يدرس الادب ، الناحية الثانية : هي ان النقد اليوم يمارس ليس فقط على النصوص الموجودة بالفعل ، ولكن على النصوص الموجودة بالقوة ، وبالتالي هو متقدم ، لانه يبشر بنصوص لم تكتب بعد ، ولكن المجال لكتابتها واسع مفتوح أمام الكتاب ويمكنهم على سبيل المثال : ليس هناك من قصة أو من رواية عربية لها أكثر من نهاية ، ما المانع في أن يأتي ناقد ويبشر برواية لها أكثر من نهاية ، ثم يتابع كاتب أو روائي ويكتب قصة بأكثر من نهاية ، أيهما يتقدم هنا هل الاديب أم الناقد ، أعتقد أنه الناقد ، وليست المسألة مسألة هرمية وأن الناقد أعلى من الاديب ، أو أن الاديب أعلى من الناقد ، اعتقد أن فهم القضية على هذا النحو مسيء جدا للعلاقة بينهما ، هناك ناحية مهمة ، نحن نعيش في مجتمع انساني ، وهذا المجتمع يقتضي منا وظائف مختلفة يوزعها علينا ، وظيفة الاديب غير وظيفة الناقد لكن عندما يقصر النقاد يباشر الادباء ممارسة هذه الوظائف ، نحن بحاجة الى الطبيب كما نحن بحاجة الى السكرتير ، بحاجة الى عالم الذرة كما نحن بحاجة الى سائق ، هذا لا يعني أن حيوية أي وظيفة أفضل من الوظائف الاخرى ، المجتمع كل متكامل لا يمكن أن ينطلق ويمتد الى الآفاق البعيدة الا بممارسة كل منا وظائفه ، وبالتالي وظيفة الاديب غير وظيفة الناقد ، قد يلتقيان في كثير من الوظائف ، ولكن هناك نوعية مختلفة وهذا يحيلني الى مسألة مهمة جدا ، أنا أنطلق في رؤيتي لوظيفة النقد . ليس فقط من المشهد النقدي العربي ، وانما من المشهد العالمي ، وهذا يضطرني الى أن أذكر ناحية مهمة جدا ، وهي أن الورقة تنطلق من أن النقد الادبي هو جزء أو شكل من أشكال الدراسة الادبية ، وبالتالي يخضع للقيم التي تخضع لها الدراسة الادبية ، والدراسة الادبية في نظري تشمل فيما تشمل تحقيق النصوص ، تشمل التاريخ الادبي ، تشمل النقد التطبيقي ، تشمل النقد النظري ، تشمل الدراسة النقدية المقارنة ، وبالتالي عندما أتحدث عن النقد فانني أتحدث عن النقد التطبيقي والنقد النظري ، ولا يمكن أن أقبل نقداً غير مؤسس على أساس

معرفي متين ، لا يمكن أن أقبل نقداً غير مؤسس على موضوعية بالحد الادنى ، وعلى علاقة مباشرة وصريحة بالنص ، والنص الموجود ينبغي أن يكون حاضرا حضوراً صارخا في النص النقدي ، اما حضورا فعليا أو حضورا بالقوة ، أما بعض الاشياء التي خرجت عن الاطار العام للورقة ، والتي دفعت باخواني المحاورين الى اغنائها بجوانب مهمة جدا فأنا لم أتوجه اليها ، ليس لانني لا أعتقد أنها غير مهمة أبدا ، وانما لاني أعتقد أن ممارسة النقد لوظيفته التي حددتها تجاه الكاتب وتجاه القارىء وتجاه النص ، ثم تجاه المجتمع ، تجعله يستطيع أن يمارس الوظائف الاخرى بالضرورة ، نحن لا نستطيع أن ننطلق في مواجهة وظائف النقد في الحديث عن ، كيف يعني النقد هويته ، لاني أعتقد أنها تأتي في مرحلة لاحقة ، ان كان نقدنا حتى الان لا يخدم الكاتب ولا القارىء ولا النص ، فكيف يمكن أن يؤدي المهام الكبرى التي تحدث عنها د / عبدالله ، هي مهام مهمة جدا ، ولكنها تأتي في مراحل لاحقة على الممارسة النقدية الفعلية ، وفيما يتعلق بمراجعة النقد لنفسه ، الورقة أشارت الى ذلك عندما أشارت الى وظيفة النقد تجاه النص ، من أنه ينبغي أن يحميه من سوء الفهم ، ومن الذي يسيء فهم النص غير النقاد أنفسهم ، كما أن على واجبا أن أنقد نص مسرحية ما ، أيضا على واجب آخر أن أقول ان قراءة فلان لهذا النص غير سليمة ، ويعرف هذا في النقد بما يسمى بـ (الميتاكريتيزم) أو (الباراكريتيزم) وما يمارس الان من نقد للنقد في المشهد العالمي مؤشر واضح على هذه الوظيفة ، قد نختلف في موضعة الاولويات ، وهذا ناتج عن تصوراتنا العامة المتصلة بالحياة والمجتمع وأشياء أخرى كثيرة ، لرؤيتنا للعالم والكون ، ولكننا لا نختلف في أن النقد كما سماه نعيمة بالغربلة ، وأن الغربلة هي سنة الطبيعة ، ولابد أن نسهم مع الطبيعة في غربلة ما هو موجود ليبقى الافضل والاصلح للانسان وليس لاي شيء آخر ، فالادب فعل انساني ، والنقد كذلك فعل انساني ، يستهدف البحث عن الافضل .

هوامش ورقة العمل

(١) انظر ميخائيل نعيمة ، الغربال ، الطبعة الثانية عشرة ، (مؤسسة نوفل ، بيروت ، ١٩٨١) ص١٤ .

(٢) انظر . Mathew Arnold, **Essays in Criticism** (George Routledge & Sons Ltd., London), pp. 1-35.

(٣) انظر . **Selected Prose of T.S. Eliot,** Edited with an Introduction by Frank Kermode (Faber & Faber, London, 1975), pp. 68-76.

(٤) انظر . Helen Gardner, **The Business of Criticism** (Oxford University Press, Oxford, 1959)

(٥)انظر . Alfred Kazin, "The Function of Criticism Today", in **Modern Criticism: Theory and Practice,** Edited by Walter Sutton & Richard Foster (The Odyssey Press, Inc., New York, 1963), pp.334-44.

(٦) انظرد . محمد مندور ، في الميزان الجديد ، (دار نهضة مصر ، القاهرة ، د . ت) ص ص٧ ـ ١١ .

(٧) انظر . Perry Eagleton, **The Function of Criticism: From the Spectator to Post-Structuralism** (Verso Editions and NLB, London, 1984)

(٨) انظر . Robert Con Davis and Ronald Schleifer, **Criticism & Culture: The Role of Critique in Modern Literary Theory** (Longman, London, 1991), pp.47-83.

(٩) انظر . E.D. Hirsh, Jr., "Some Aims in Criticism", in **Literary Theory and Structure: Essays in Honour of William K. Wimsatt,** Edited by Frank Brady, John Palmer & Martin Price (Yale University Press, New Haven & London, 1973), pp.41-62.

(١٠) انظر ـ ميخائيل نعيمة ، الغربال ص١٩ .

(١١) انظر . المرجع السابق ، ص ١٩

(١٢) انظر . **Selected Prose of T.S. Eliot,** p.69.

علامات

- عبدالفتاح أبو مدين
- علي البطل
- نذير العظمة
- عبدالله صوله
- فؤاد كامل
- أحمد محمد المعتوق
- سعيد يقطين
- رجاء عيد
- جعفر ماجد

ندوة علامات

- عبد رب النبي اصطيف
- علي عقلة عرسان
- نعيم اليافي
- عبدالله أبو هيف
- تمام المقداد
- سمر روحي الفيصل